لكن، لماذا لا يكون التطور الهائل الذي أحرزته الحداثة الغربية في موطنها الأصلي هو الذي أدهش الحداثيين العرب، فأحسوا بالضعف أمام هذا الزخم الفكري وهالهم مدى التخلف الذي يعانيه النقد العربي، فكان تبنيهم لهذه المشاريع جزعاً من هذه المعاناة وغيرة لما رأوه، فلم يكن من بد والأمر كذلك، إلاّ أن تحدوهم رغبة المسايرة والملاحقة للمشاريع الغربية، فأقبلوا عليها إقبال النحل على الأزهار، يتبنون مناهجها ومصطلحاتها من غير حرج أو تقدير للعواقب. ولا جرم أن التخلف الذي آل إليه الخطاب النقدي العربي المعاصر مروع، والانفتاح على الآخر / الغرب أمر مشروع في إطار مبدأ المثاقفة، لكن هذا لايعني أن ينكب نقادنا على المشاريع الغربية دون تقدير أو حساب فيقعوا في المحظور... ■

الهوامش:

(١) د. عبدالعالي بو طيب: إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث: «عالم الفكر»، م٢٣، ع١-٢، الكويت ١٩٩٤، ص٤٥٦.

(٢) د. عباس الجراري: خطاب المنهج، منشورات السفير، مكناس، المغرب، ١٩٩٠، ص٣٠.

(٣) د. كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي(دراسات بنيوية في الشعر)، دار العلم للملايين، لبنان، ط٤، ١٩٩٥، ص٧.

(٤) د. عبدالوهاب المسيري: إشكالية التحيز، ص١٦٣-١٦٤.

(٥) حازم القرطاجني: منهج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ص٦٨.

(٦-٧) د. محمد مندور: في الميزان الجديد، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٧٨و ص٦٧-٦٨.

(٨) د. عبدالله إبراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، (تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ١٩٩٩، ص١٦.

(٩-١٠) د. صلاح فضل: إشكالية المنهج في النقد الحديث،النادي الأدبي، جدة، ١٩٨٨، ص٣٩٨، نقلاً عن: د. عبدالوهاب المسيري: إشكالية التحيز، ص١٦٦-١٦٧.

(١١) د. عبدالعالي بو طيب: إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي: «عالم الفكر»، الكويت، م٢٧، ع١، ١٩٩٨، ص١٣.

(١٢) د. فاضل ثامر: اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ١٩٩٤، ص٢٣٧.

(١٣) د. محمد عابد الجابري: نحن والتراث (قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ١٩٨٦، ص٣٦.

(١٤) د. عباس الجراري: خطاب المنهج، ص٤٠-٤١.

(١٥) د. عبدالله إبراهيم: نفسه، ص٥٤.

(١٦) محمود أمين العالم: الجذور المعرفية والفلسفية للنقد الأدبي العربي الحديث المعاصر، ضمن كتاب: الفلسفة العربية المعاصرة، ص٧٥ و ١٠٠، مركز دراسات الوحدة، بيروت ١٩٨٨، نقلاً عن: د. عبدالله إبراهيم، المصدر السابق، ص٥٦.

الحكم الأخير

سامية علي
مصر

خفتت أصوات الحضور، وتعالت همساتهم عندما أشار الحاجب لهم بالوقوف إيذاناً بدخول القاضي إلى القاعة. كانت اللحظة الحاسمة، خيم السكون التام على المكان، أرهفوا الأسماع إنصاتاً لأنفاس القاضي، فتح فمه كي ينطق بالحكم، فإذا بالباب ينفتح بعنف، اندفعت منه الريح بشدة، اتخذت لها مسار القلب موجهة عاصفتها إلى الميزان البرونزي الذي بدأ يتمايل .. ترنح ثم سقط.

(لا يزال أمامنا فرصة للاستئناف) ستكون الإصلاحات قد تمت، وسيعود الميزان إلى صدارته، حينها ستغيب الريح في حلول الصيف، وتحسباً لهبوب نسمات صيفية سنتأكد من إحكام غلق الباب، سوف نتأكد من ذلك حتماً. للمرة الثانية ألاحظ هذا الميزان القابع على وجهة المبنى الخارجي، بدا لي مائلاً بعض الشيء وبراقاً أيضاً، لعل العامل نفض عنه أكوام الغبار التي أثقلت كفتيه، فأماله رغماً عنه، نفضت الأفكار السوداء عن رأسي وأنا أصعد درجات السلم العالية.

هذه المرة لم نتكلم ولم نهمس طوال المرافعة، فقد أدركنا الحكم يقيناً، ترقبناه حرفاً حرفاً، تبارينا في صياغته حتى دخل القاضي، حرص على أن يحكم إغلاق الأبواب جميعاً بأقفال ضخمة. كتمنا أنفاسنا حائري النظر ما بين القاضي والميزان. من الشباك الجانبي دخلت عصفورة صغيرة تحمل قشة، حتماً أخطأت الطريق إلى عشها، أدركت الخطأ مؤخراً، فانتفضت من مهابة القاضي والحضور. سقطت قشتها رغماً عنها لتستقر في إحدى كفتي الميزان.